اللغة العربية.. والأمن القومي العربي

■،، هناك فرق كبير بين دعوات تطالب بتطوير اللغة العربية وتنقيتها من شوائب كثيرة علقت بها، ودعوات أخرى تسعى الى تدميرها، ومن وقت لآخر يثور جدل وحوار حول موقف اللغة العربية، هناك من يرى أنها تخلفت كثيرا عن روح العصر، وهناك من يرى انها في حاجة إلى زلزال كبير يحرك مياهها الراكدة وينطلق بها نحو آفاق من التطور والمعاصرة، وهذه الدعوات كلها مطلوبة مادامت تسعى الى تأكيد أهمية اللغة العربية ليس على المستوى الثقافي أو التعليمي، ولكن على المستوى السياسي والقومي لهذه الامة، فلا شيء يسبق اللغة العربية في أهميتها ودورها في جمع ما تبقى بيننا من أشلاء تناثرت بين الحروب والاحتلال والضياع السياسي والعجز بكل ألوانه.

فاروق جويدة

لا شك أن محنة اللغة العربية قد وصلت إلى أسوأ حالاتها ومن يريد أن يتأكد من ذلك فعليه ان يراجع مستوى تعليمها في المدارس، ودرجة استخدامها في أجهزة الاعلام والثقافة بل وصل الأمر إلى أن اللغة العربية اصبحت غريبة في بيتها وفي مؤسسة عريقة مثل الازهر الشريف، كثيرا ما يخطئ المدرسون في تعلم اللغة العربية وكثيرا ما يخطئ العاملون في أجهزة الاعلام والثقافة في أبسط قواعدها، وكثيرا ما يخطئ الدعاة والائمة على المنابر وفي ساحات المساجد وهم يتحدثون لغة القرآن.

ومن جانب آخر فان الساحة مليئة بنماذج فجة في الكتابة التي تحمل اسم الإبداع حيث نرى الروايات والقصص وهي تجمع كل ألوان التفكك والركاكة في الاسلوب والصياغة ومدى الالتزام بأصول اللغة وجمالياتها.

ولا توجد في الكون لغة لقيطة، ان لكل لغة جذورها ونسبها وأصولها وقواعدها وأشكالها الفنية متعددة الصور والألوان، ومن الخطأ أن ننظر للغة على أساس مجموعة من القواعد الشكلية الجامدة، فإذا كانت هناك قواعد في النطق أو الحركة أو السكون، واذا كانت هناك ضوابط في النحو أو الصرف، فهناك قيم أهم وأخطر تتجسد في الجوانب الجمالية للغة من الأسلوب والايقاع والصورة والقدرة على التعبير.

وللأسف الشديد أن كل من يهاجم اللغة العربية يتوقف عند قواعد النحو والفاعل والمفعول، وهذه ثوابت لا توجد في اللغة العربية وحدها ولكن لكل لغات العالم ثوابتها وقواعدها الملزمة، ولهذا ينبغي أن يكون الهدف هو تطوير اللغة في أساليبها، وجمالياتها وقدرتها على مواجهة ظروف ومتغيرات الحياة، ولن يكون ذلك بالهدم، ولكن ينبغي أن يكون بالبناء.

ولوأننا تتبعنا جذور الأزمة لاكتشفنا ان لها أكثر من جانب

يجب ان نبحث عن وسائل حديثة لجذب الطلاب إلى لغتهم، ان هناك فجوة كبيرة بين الطلاب واللغة العربية والسبب في ذلك يرجع الى تلك المناهج المتخلفة التي تفرض عليهم نماذج لغوية لاتتناسب مع روح العصر ومتغيرات الحياة، ما زال الاسلوب التقليدي في تعليم اللغة العربية هو السائد، وما زالت نماذج الشعر القديم بكلماته المعقدة وصوره البعيدة عن الفهم تقف حائلا بين أبنائنا وعشق لغتهم العربية، وفي شعرنا القديم نماذج سهلة وأساليب مفهومة ولا ينبغي أبدا أن يكون الاختيار الخاطئ للنماذج الشعرية والنثرية عقبة أمام أبنائنا تجعلهم يهربون من لغتهم.

ولا مانع هنا من استخدام التكنولوجيا الحديثة في الحاسوب والانترنت من أجل تشجيع الاجيال الجديدة على التعامل مع لغتها.

ان نقطة البداية ان يكون هناك مصالحة، بين النص اللغوي، والعقول الشابة، ولا يعقل ان نطبق في مدارسنا نفس القواعد في تعليم اللغة العربية كما تعلمتها أجيال سبقت من خمسين عاما مضت، هناك وسائل حديثة في تعليم اللغات يجب أن نطبقها في مدارسنا.

يأتي بعد ذلك دور الاعلام، وليس معنى أن يجيد المتحدث اللغة العربية ألا يكون بسيطا في اختيار الالفاظ أو متعاليا في طريقة الحوار أو قادما الينا من عصور مضت، ليس من الصعب أبدا أن تكون هناك لغة بسيطة تحافظ على ثوابت اللغة العربية ولكنها تحمل في نفس الوقت روح الزمن الذي نعيشه، والعصر الذي لا نستطيع الخروج منه.

وهذا ينطبق على أحاديث العلماء ورجال الدين والمفكرين وكبار المثقفين، يجب أن يكونوا قدوة في البساطة والقدرة على الاقناع بعيدا عن التقعر واستخدام الكلمات الغريبة، وفي نفس الوقت يجب أن يكون هناك حرص كامل على استخدام اللغة الفصحى لأنها النموذج خاصة في البرامج الثقافية والفكرية والحوارات ونشرات الأخبار والموضوعات التسجيلية لأن ذلك يمثل دروسا في اللغة قبل أن يكون عملا اعلاميا.

ولا أدري ما السبيل لتقديم مدرس عصري للغة العربية خاصة ان الثانوية العامة هي التي تدفع بالآلاف من الطلاب إلى كليات اللغة العربية والتربية ودار العلوم؟ وللأسف الشديد انهم يدخلون هذه الكليات ليس حبا في لغتهم ولكن أمام ضرورات المجموع، أن هذه الكليات في حاجة الى أجيال جديدة تدرس لغتها من منطلق الحب والاحساس بقيمها، وهذه الأجيال لن تخرج من مدارس مازالت حتى الآن تقدم اللغة العربية في صورة غريبة لا تتناسب مع الزمن، وما ينطبق على الجامعات والمدارس ينطبق ايضا على وسائل تدريس اللغة العربية في معاهد الأزهر وجامعته العريقة.

ولاشك ان اهمال اللغة العربية انعكس بصورة واضحة على مستوى الابداع في الشعر والقصة والرواية والاغنية، لقد صارت اللغة الفصحى غريبة في كل هذه المجالات، ومنذ سنوات مضت كان استخدام بعض الكلمات العامية في قصة أو رواية مثار قلق بين المبدعين الكبار، ولكننا الآن نقرأ روايات كاملة ليست فيها جملة واحدة باللغة العربية الفصحى، وهذا يحتاج الى مراجعة من كبار مبدعينا ونقادنا، حتى لا يأتي يوم لا نرى فيه عملا ابداعيا باللغة الفصحى.

والغريب في الأمر ان البعض يشن هجوما ضاريا على اللغة العربية الفصحى وهناك من يطالب بالغاء النحو، والتوسع في استخدام العامية، وتخليص اللغة من قواعدها وهذه دعوات تحتاج الى مراجعة حكيمة، ان الغاء النحو يعني انه لا فاعل في اللغة ولا مفعول، وإلغاء النحو يعني إلغاء حروف التذكير والتأنيث، وإلغاء النحو يعني أن نجد انفسنا امام هيكل عظمي متاكل للغة عريقة تمتد في أعماق التاريخ ويتحدث بها الآن أكثر من ٣٠٠ مليون انسان، وهذا ليس من الحكمة في شئ.

ولا استطيع ان أفصل ذلك كله عن البعد السياسي الذي يسعى من خلاله البعض إلى تهميش وتسطيح اللغة العربية الفصحى، واذا كانت كل دولة عربية تسعى الآن لدور خاص بها، واذا كان كل شعب يريد ان يعيش لنفسه، اذا كانت العلاقات الثقافية والسياسية بين العرب تشهد أسوأ مراحلها بأن كل بلد عربي يسعى الآن إلى تعميق لهجته المحلية، وهنا انتشر ما يسمى بالشعر النبطي في دول الخليج، وانتشرت اللهجات العامية في دول أخرى، وهذا كله يصب في هدف واحد هو تقطيع جسور التواصل بين الشعوب العربية على المستوى الثقافي، وهو هدف تسعى اليه أطراف كثيرة ان تهميش دور اللغة العربية الفصحى في حياة الشعوب العربية وبين أجيالها الجديدة سوف يصل بها يوما الى درجة القطيعة الثقافية، وهنا سيحدث انفصال كامل عن الواقع الذي نعيشه، والتاريخ الذي ربط بيننا، والجذور التي امتدت قرونا طويلة في تشكيل الثقافة العربية، ولهذا فإن الدعوة لتطوير اللغة العربية يجب أن يكون هدفها تأكيد هذه اللغة وليس التشكيك في قدرتها على الاستمرار.

وبجانب هذا فان اللغة العربية لغة القرآن الكريم، وهذا يعني أن تراجعها، شئنا أم أبينا، سيكون على حساب عقيدتنا الدينية، وهناك اطراف دولية كثيرة تحاول النيل من ثقافتنا ودينا ولغتنا تحت دعاوى كاذبة ان هذه الثقافة تصنع الارهاب.

ان اللغة العربية واحدة من أعرق وأجمل وأثرى اللغات في العالم وبقدر حرصنا على تطويرها ومواجهة الظروف الصعبة التي تعاني منها سيكون مستقبلها، أما اذا اتجه البعض منا الي توجيه السهام اليها فهذا لن يخدم لغتنا ولكنه يخدم اطرافا اخرى كلنا نعرفها تسعى الآن الى ضرب جذور هذه الامة.

لقد شهدت السنوات الأخيرة عشرات المؤتمرات التي تطالب بحماية اللغة العربية، وهنا يجب أن نطالب بالحماية ليس على المستوى الثقافي فقط ولكن على المستوى السياسي والقومي، لأن اللغة العربية في حقيقة الأمر تدخل في اطار قضايا الأمن القومي العربي، وفي ظل دعوات مشبوهة لشرذمة العالم العربي وتشويه تاريخه، وضرب ثقافته تقف اللغة العربية في مقدمة هذه الاهداف، فلا أحد يريد الآن للعرب أن يجمعهم تاريخ واحد، ولغة واحدة وعلى الأجيال الجديدة التي يجري الآن استنساخها ان تتشكل في ظل واقع جديد بلا جذور أو هوية، وهذه دعوات يجب أن نتصدى لها حتى لايصبح العرب يوما أمة بلا لغة، ولا تاريخ.

ماذا تعني مهنة التعليم في حياة الأمة؟

محمد أحمد سنان

● كل أمة من الأمم تود أن تكون في المقدمة أو الأكثر تقدماً في جميع المجالات بالنسبة لغيرها ولبلوغ هذه المكانة ينبغي التركيز على العملية التعليمية من جميع الجوانب وبالذات على إعداد المعلم وتأهيله وأن تعطي العملية أولوية في الاهتمام لأننا بواسطتها نبني جيلاً مسلحاً بالعلم والمعرفة والتي تعتبر جواز السفر لدخول الألفية الثالثة في ظل الانفجار المعرفي الهائل الذي نشاهده ونلمسه في حياتنا اليومية، وبالذات في المجال التقني والتكنولوجي الذي جعل العالم أشبه مايكون بقرية واحدة.

وللوصول لهذا المستوى اللائق لابد من اعطاء مهنة التعليم مزيداً من الاهتمام كونها من ستتولى تشكيل أفكار الأجيال القادمة، ولأنها مهنة مقدسة تولاها خير البشر وأفضلهم وهم الرسل والأنبياء، فبواسطة هذه المهنة تتكون الشخصية الانسانية للأفراد والمجتمعات، قبل مرحلة التخصص التي يصبح صاحبها من ذوي المهن التي يحتاجها المجتمع، وقبل هذا فهو بحاجة إلى بناء شخصيته أولاً عن طريق المعلمين ويمكن أن نسمي هذه المهنة أم المهن جميعاً التي يمارسها الناس في حياتهم فإذا فشلت هذه المهنة في تأدية وظيفتها الأساسية وهي تكوين الشخصية الانسانية السوية والمتزنة فإن هذا الفشل يظهر بوضوح على كل المهن والتخصصات الأخرى لأن أداة التغيير في كل هذه المنظومة هو المعلم فهو من يغير حياة الأفراد والمجتمعات للأفضل بواسطة مايقدمه لطلابه من علم ومعرفة، وأي أمة تعطي أهمية لهذه المهنة يدل على مدى تحملها للمسؤولية تجاه الأجيال القادمة من أبنائها بل تجاه الأمة بكاملها ومستقبلها، ولا يمكن أن يكون الإصلاح إلا عن طريق إعداد المعلمين بطريقة جيدة وممتازة لأن المعلمين الشريحة الأكثر قدرة على التأثير لتغيير سلوك الطلاب للأفضل وهم مستقبل الأمة.

ولقد اهتم العرب والمسلمون كثيراً في قضية التعليم والمعلم نظراً لأهميتهما في حياة الأمة والمعلم هو من يساعد الطلاب على الاكتشاف والاختراع وكيفية وصل الماضي بالحاضر بغية الوصول إلى مجتمع الرفاهية التي تحرص كل أمة على بلوغه، كل هذا يؤكد لنا أهمية إعداد المعلم نظراً لأهمية وخطورة مهنته في تشكيل مستقبل الأمة والتغيرات التي نراها في المجتمعات تمت بواسطة المعلمين حيث تتطور الحياة وتصبح المدرسة مركز إشعاع للنهضة التي ستنقل مجتمعنا للأفضل ولن نبقى جامدين في أماكننا بل سنتقدم وبثبات إذا ماأعطينا أهمية للكليات والمعاهد التي تعد المعلم وتطوير مناهجها وتوفير كل المتطلبات التي تساعد على ذلك ثم يأتي اختيار المعلم القدوة القادر وصاحب النفس المستقرة والمنفتحة والعقل النير الذي يعرف احتياجات طلابه ويراعي فروقهم الفردية ويتفهم خصائص نموهم ويهتم بتطوير نفسه ويتعلم المهارات الجديدة ليتمكن من القيام بدوره على أكمل وجه ويخطط للمستقبل ويضع الحلول لكل مايقابله من صعوبات وأن يجيد مهنته بمهارة فائقة ويتابع الأبحاث التربوية بكافة أشكالها وبالذات التكنولوجيا المتقدمة في مجال التربية وأن يوظفها في عمله بمهارة عالية وأن يمتلك القدرة على الاقناع بالبرهان والمنطق منطلقاً من واقعه واحتياجات مجتمعه محترماً مهنته منتمياً إليها يحب وطنه ومواطنيه يقدر موقعه ودوره المهني والتربوي وعندها سنطمئن لأننا أحسنا إعداد واختيار المعلم القدوة، والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

من سيفوز..؟!

علي عبدالله مياس

● لايعرف العالم العربي لماذا يظل يدور بنفسه بين قمقم التقوقع الذي يحيط نفسه به وبين ملهاة العالم به وتحويل أفكاره من موضوع إلى آخر حسب حالته النفسية وتقلبات الطقس حوله.

فكثير مايشغل العالم العربي نفسه مواطنين وساسة بمواضيع شتى في العالم.

وكأن كل الأمور الاقتصادية والتعليمية وغيرها محلولة ولم يعد هناك قضية أو مشكلة تعكر الصفو مما يحتم الالتفات بإبداء الرأي للعالم بل التعاطف والمناصرة بدعم طرف ضد آخر سواء معنوياً أو مادياً. لأن هذا أفضل من ذاك.

وكان الأجدر والأولى التفكير في كل مايهم وينفع، ولكن أصبح من الضرورات في الرأي العربي خوض غمار أي سباق وإن لم يكن فيه ناقة أو جمل يخصه.

فما إن لاحت بوادر المعركة الانتخابية الرئاسية الأمريكية حتى تم إطلاق التكهنات ونشر التحليلات السياسية حول الموضوع، وأوجه التشابه والاختلاف بين الأطراف المتصارعة ومميزات وعيوب كل طرف فيتم تفضيل فوز ذلك «العجوز - الوسيم - المحارب» الذي سيكون كنزول بركة ليلة القدر فبركته ستحل كل مشاكل العالم وبالأخص العربي. الذي بفوزه سيتم استئناف محادثات السلام وتحل القضية الفلسطينية نهائياً وستسحب كل الجيوش المنتشرة في العالم لأن له آراء مخالفة عن سابقيه ومنافسه.

إذاً التفاؤل المسيطر على العقل العربي، أن الحل وانفراج الأزمات التي يعيشها بفوز هذا أو ذاك على حق. فنحن لاننكر أن التفاؤلات السابقة أثمرت بدخول العالم بما فيه العالم العربي إلى عالم آخر!؟؟

ديمقراطي ومحافظ على العدالة وحقوق الانسان وليس أدل على ذلك من الديمقراطية التي ينعم بها الشعب العراقي والأفغاني وغيرها من شعوب العالم.

أما حقوق الإنسان والتي ضرب بها المثل في العدالة هو الأمن والعدل الذي ينعم به الشعب الفلسطيني في ظل الاحتلال.

لذلك فارتفاع الأصوات بالحديث عن طرفي المنافسة على دخول البيت الأبيض لها سبب وجيه رغم التطابق في وجهات النظر للطرفين حيال القضايا في العالم.

ولو يصادف وجود مرشح عربي في انتخابات الرئاسة الأمريكية مهما كان اتجاهه لن يهتم به أو يدعمه العالم العربي معنوياً أو مادياً لأن الأخير لن يحصل على ماحصل عليه من حقوق ومميزات في وجود الرؤساء السابقين ديمقراطيين أو جمهوريين وبالذات لأن السياسة الخارجية الأمريكية ثابتة. وهذه حقيقة يتجاهلها الكل!!؟

فهل مازالت الآمال تعقد على حدوث تغيرات بتغير الرئيس الأمريكي ورئيس الوزراء البريطاني.

رغم الاقتناع العربي بالسعي وراء سراب التغير. إلا أن الاعتقادات والآمال العريضة. مازالت تُطلق بعد كل الأحداث التي عاشها ويعيشها العالم العربي.

فهل يصحو من هذا الحلم الذي لم يتحقق ويعيش واقعه المر الذي يتهرب منه بإيجاد الحل بنفسه لأن الله على كل شيء قدير..؟!

المعاقون حركياً.. وأبسط خدمة لهم!

عبدالله البحري

● برغم اهتمام ورعاية قيادتنا السياسية الدائم والمعهود لكافة أبناء الوطن، وذلك من حيث تنميته وتطوير قدراته في كافة المجالات والأصعدة، وبالتحديد عندما نرى معظم الحقوق الانسانية والمحفوظة نصوصها في دستورنا والممارسة أفعالها وأنشطتها من خلال القنوات المعروفة وذات الارتباط بالواقع المعاش.

ولعل من بين شرائح مجتمعنا اليمني والذين لاريب ينالون الأحقية من الأولويات سواء في ممارسة حرياتهم أو من حيث الأسبقية في نيل الخدمات التي تقدمها لهم معظم المرافق والمؤسسات الحكومية وباقي القطاعات الأخرى وهذه الشريحة هي -ذوو الاحتياجات الخاصة- التي تتكون من الكفيف البصر، أو المعاقين حركياً، والصم والبكم .. ولاسيما منهم المعاقون حركياً وغير القادرين على الوصول إلى أماكن ومواقع الخدمات اليومية.

ولعل من ضمن الضروريات التي قد يحتاجها هؤلاء عند كل مدخل منشأة أو مؤسسة أو مصلحة وهم على متن عرباتهم الخاصة حتى يعجزوا عن العبور أو الدخول لاستكمال مايريدونه، ولكن الأمر قد نراه منحصراً أو شبه محدود على بعض مباني ومنشآت خاصة، وحسب تصنيف هندسي يندر وجوده كشرط أساسي من شروط الجهة المنفذة، وبما أن ذلك بات أمراً هاماً ويلامس احتياجات تلك الشريحة من المعاقين أو المقعدين حركياً فإن على غير قطاع -عام أو خاص- يرتبط بتقديم الخدمات الضرورية لهؤلاء شأنهم شأن أي مواطن، فلا يمكن في ذات الوقت تجاهله وذلك عند بوابة أي مبنى دخولاً وخروجاً وكخدمة تسهل تنقل عرباتهم عليها صعوداً أو خروجاً.

وأجزم أن ذلك معمول به في كل الأوطان والأقطار لأن المسألة في غاية السهولة، وربما أن أي جهة أو مرفق خدمي سيقوم بتنفيذ وإقامة طرق عبور جانبية عند كل مدخل بوابة وبدون أدنى تعقيدات مادية أو معنوية قد تصاحب ذلك العمل الانساني، وهذا بحد ذاته جهد يتواءم مع أعظم الاحتياجات والحقوق لهذه الشريحة بالذات.

إقرار تأخر ١٨ سنة

أملي أن أكون مخطئاً

إبراهيم الوادعي

■،، في ليلة سألت والدي عن ماهية تلك المشاهد التي يعرضها التلفزيون كل ليلة وأرغم على مشاهدتها مع الكبار وشدتني بألامها ومأساتها، ولا تكاد تغيب عن برنامج أخبار الساعة التاسعة من تلك القناة الوحيدة التي لا يدبل عنها يومها، كنت صغيراً جداً، ولذا كانت ايضاحاته لي مبسطة جداً بحكم عمري، عرفت أن فلسطين أرض عربية وأن اليهود بمصطلح بسيط أخذوها لهم وأهلها رفضوا ذلك لذا فهم يرمونهم بالحجارة حتى يطردوا المحتلين وبالطبع لم يقل كلمة محتلين فلم أكن لأفهمها حينها قطعاً حتى لو قالها وقضى الليلة بأكملها يشرح معناها لي.

لازلت اتذكر تلك الليلة بتفاصيلها رغم ما مر عليها من سنين وتعاقبت على ذاكرتي من أحداث، تلفاز صغير يتوسط الحجرة الصغيرة، يعرض صوراً بالأبيض والأسود، القهوة أمام والدي والعائلة من حوله، وأنا بجانب التلفزيون أحاول استنطاق الصور وأفهم محتواها ، شباب وأطفال عراة يرمون جنوداً بالحجارة وهم يردون عليهم بالرصاص وقنابل تطلق دخاناً كثيفاً.

مفارقة لم أعها بعقلي الصغير فعدت أسال أبي مرة أخرى:"ليش ما » يرموهم برصاص بدل الحجار؟!....." ضحك والدي يومها وأجابني على قدر عقلي - وبالطبع يومها- أن « ما فيش » معهم فلوس واليهود لن يسمحوا لهم بشراء السلاح.

بدأت تلك المشاهد والقضية التي تحملها على قصر إدراكي لها تحتل مساحة من يوم طفولتي الذي افتتحه باللعب وأختمه بمشاهدتها ، فالخلود للنوم وهكذا دواليك.

مع الأيام لم أعد مرغماً على المشاهدة كنت انتظر مع الكبار نشرة التاسعة من تلفزيون صنعاء كما كنا نسميه، قد الهو فيسكتني أبي ليستمع إلى ما جد على الساحة المحلية وما صدر من قرارات جمهورية، ولكني أصمت من تلقاء نفسي متى ما قال المذيع جملته المعتادة "والآن ننتقل بكم أعزائنا المشاهدين إلى الأخبار العربية"، وأعرف مباشرة أن مشاهداً من تلك المعتادة كل ليلة ستأتي، تكسير عظام ورمي برصاص يقابله رداً بالحجارة وزجاجات حارقة ، فقد صارت كوجبة العشاء لا بد منها كل ليلة..

باحساس الطفولة كنت أعايش آلامهم وأتماهى في محنتهم، أحلم بخلاصهم من تلك المعاناة في منامي.. ولما لا -أحدث نفسي- مادام أولئك الجنود الذين يظهرون في الشاشة هم أعداؤنا جميعاً وفي تلك الأرض مسرى نبينا صلى الله عليه وآله وسلم كما تعلمنا ذلك في المدرسة وأخبرني به أبي قبلاً، وإن لم يخبرن الحقيقة كاملة، فقد صور لي أن مأساة فلسطين ستنتهي في القريب العاجل وأن العرب مجمعون على ذلك، وأذكر حينها أني سألته :من هم العرب؟! ولو شاء أن أذكره لفعلت، ولذكره سور حديقتنا فقد كنت متكئاً عليه في صبيحة يوم وسمع السؤال مع أبي.

بعقل طفل حسبت "القريب العاجل" أياماً، كنت أتسمر كل ليلة أمام التلفاز انتظر النصر ، حريصاً على ألا تفوتني مشاهده، ولكن ذات الصور تتكرر ذاتها كل ليلة لا اختلاف، الفلسطينيون يرمون بحجارة والجنود يطلقون الرصاص عليهم ومن أمسكو به كسروا عظامه.

معذور أنا حسبت النصر يأت بين يوم وليلة، ربما كنت أريد أن ارتاح لنفسي من هم حملته إياها ولم أكن مغصوباً عليه إنما هو قدري ولا أحسبه غير ذلك.

مرت الأيام ومضت سنون ،تعطل ذلك التلفاز الصغير، وأتيتنا بآخر أكبر منه وملون وأنا على حالي أتسمر أمام التلفاز عند التاسعة لأشاهد تلك المشاهد ذاتها، ليس هناك من جديد سوى أني أصبحت أرى لون الدم الفلسطيني على حقيقته أحمراً قانياً.

أنتهت الانتفاضة الأولى كما سموها، وأكملت معها النصف الأول من عقدي الثاني ، ثمان سنوات بما حملته من أهوال وآلام هناك كانت كافية لأن تمد فلسطين قضية عروقها في عقلي وقلبي وتستأثر مأساتها بوجداني، صارت قضيتي المركزية وانتصارها أحد الأحلام التي أتوق لتحققها في حياتي، أنام فتتصدر أحلامي، أصحوا فتذهب وتجيء معي.

واليوم وبعد ثمانية عشر عاماً مضت على تلك الليلة وسؤالي الأول عن فلسطين.. وقلمي يستعيد كل ما حدث من اخماد الانتفاضة الأولى، مروراً بأوسلو وما رافقها ومعرجاً على تقلبات الواقع العربي وليرسو على مرفأ الانتفاضة الأخيرة ،فأجد أن ذات المشاهد التي وعيت عليها ذاتها تتكرر، وإن تغيرت سيناريوهاتها واستبدلت الحجارة بالرصاص وقذائف الهاون، واستبدل الجنود رصاصهم وعصيهم بالدبابات وقصف الطائرات، واليورانيوم المنضب.

توجهت بذات السؤال مرة أخرى ولكن هذه المرة ليس إلى أبي ولكن إلى معلمي استاذي القدير عبدالرحمن بجاش الذي اضاء لي بخبرته الواسعة والمتراكمة أموراً كثيرة من مراحل زمنية لم أعشها وإن عشت بعضها فلم أحسن قراءة ما بين السطور، اجبرتني على التفكير فيها طويلاً، والزمتني كذلك بإعادة ترتيب كثير من المعطيات التي بنيت عليها مفاتيح الحل لعودة فلسطين، إن لم تكن كلها فأجزاء منها وأدركت أن الأمر ليس بحساب السنين كما قدرت ذلك شاباً ولا عد أيام كما حسبت ذلك طفلاً، الأمر برمته يحتاج قوماً آخرين لسنا هم، وفلسطين لتعود يكفي قراراً واحداً لاثنين وعشرين قراراً.

سؤالان وسنون مضت من عمري أجزم متيقناً « سأموت وفلسطين لم تعد بعد» ..

..لي أمل أن أكون مخطئاً.